خَلْف الخلف بَيْن

جهاد توما

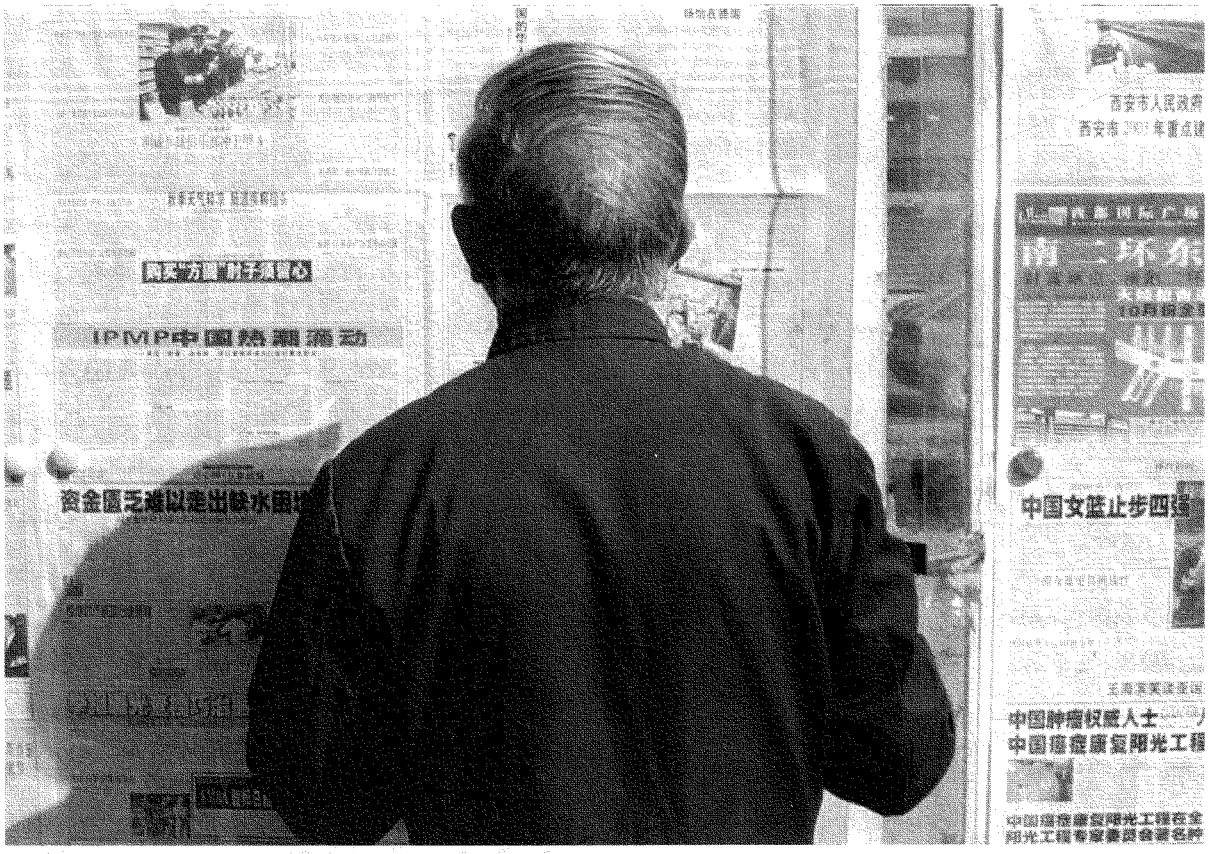

طلبتُ من جهاد توما ، قبل سفره إلى الصين، أن يحاول، خلال ترحاله، تدوين ملاحظات عن أسئلة الاختلاف الجنسيّ. بعد أن عاد جهاد إلى لبنان، كتب نصّاً شعريّاً طويلاً صاغ فيه مسألتيْن: مسألة الاختلاف في الجنس (العِرْق) التي نَظَرَ إليها من خلال عدسة الكاميرا، ومسألةَ الاختلاف في الجنس (النوع) التي حكى عنها من خلال حيوانيْن أسطوريَيْن هما العنقاء والتنّين. أما الفنجان الذي رآه جهاد في مكتب إمام المسجد الكبير في شيان، فله دور أساسيّ في كلّ هذه المحاولة. ننشر هنا أجزاء من النص الذي تَحاوَرَ فيه المؤلِّف مع نصوص القزويني (في كتابه: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات).

(ل.خ)

قَبْل النصّ نصٌّ عنه، هو جزء منه، قد يجوز الكلامُ عنه ويطول.

قالت: إرحلْ في الاختلاف، عُدْ فَخَبِّرْ.

جيّشتْ حواسَّه إلى حدّ الانشطار. بَعَثَتْه مُتَفَشِّيًا على حدود المنفى.

قالت: عدتَ فاختلفتَ في ترحالك.

غطستُ في البيْنِ فنفذتُ والبيْنُ يسبحُ فيّ.

انفتحتُ في المسافة على صمت القُرب.

سافرتُ في الآخر، في أنايَ فيه.

ما بْتِشوف.
ما شافِت حالها مْنِشافه.
خفّة الأعمى،
راحة نَفْس ممحيّه.
هيلانة

لاحقَكْ
مِنْ خَلفْ خَلفَكْ
رابِصْ
ناطِرْ
ناطِرْ
ناطِرْ تِطْلَعْ من حالَكْ
وتجيلْها
وبالبيْن القَطَكْ
اعْدِسَكْ
احْجبَكْ ورا الحاجِز
اعْزلَكْ
حمضَكْ ورجّعَكْ
مختلف
مِش رَحْ تِعترِف
بَسّ إنْت
مختلف
وباختلافَكْ ضِعت
وضيّعتَكْ
وحِسّ
أنا فِتّكْ
بلا ما أعرفَكْ
ما بَعْرفَكْ

طلعت عالقبر
نَزّلْتْني ونزلت
تَرَكْتْني وراك نزلت
رجّعتني لحالي
رحت وريّحتني
بسّ هلّق
إجا دوري

اخـــتلف بجنســـو تنجّس
جنّ بـإنســـــــو تجـنّس

سماغْ
وخلّيني حدّتَكْ
قشاغْ
حروف صامتة
غير حروفك إلي صور
بسّ شفت الصور
حروفي بِخَطّكْ
صور
ما عرفتها
بسّ حسّيتْ
قُربَكْ إلي
ما جرّبتْ
قَبْل
شوفَكْ
وإنت
بقَلبي
بِتْشوفني
جمادْ
تحفّى
تظلّطْ
وفوتْ
لفرجيك

مـا خلّف اخْـتَلَفْ مـا مـات
اختَلَفْ عن حالو خلّف ما مات

رقص التنّين
رفرف العنقاء

أنا العنقـاء إنت التنّين أنا أنت العنقـاء التنّين أنا أنت إنائي تنّيني عنقـائي أنا العنقـاء تنّينك أنا العنقـاء العنقـاء إنت أنا التنّين التنّين إنت أنا التنّين إنت العنقاء

... وهكذا تمّ نفيُك
مثلي
يا عظيم الخلقة
يا هائل المنظر
يا طويل الجثّة عريضها
يا كبير الرأس

يا برّاق العينين
وقد أسهبَ فقال
إنّ لك عينين كبيرتين مدوّرتين جداً
فاحبسْني لأهمدَ في دائرتهما
وإنّ أذنيك طويلتان
فاسمعْ من ريشي صوتًا
كهجوم السيل
أو صوتِ الأشجار عند هبوب الريح
ريحِكَ
يا تنّيني
أنا العنقاء لكَ
عنقٌ مِنْ عنقك
ومنها يتشعّب ستة أعناق طوال
كل عنق نحو عشرين ذراعًا
وعلى كل عنق رأس
كرأس الحية وحولها جناحان عظيمان
على هيئة جناح السمك
رَفْرِفْ
يا مفلسًا مثل فلوس السمك
وأرقُصْ
رَقْصَ الحيّة السوداء
صورتُكَ
صورة وأسطورة
أُنفثْ نَفَسَ النار
أَحرِقني
فامضَغْني
بأسنانك العديدة
وابلعْني
أنا أعظم الطيور
أنا أكبرها خلقةً
قلتُ ابلعْني رمادًا
لأعود
فألد كالفينيق
من جوفِكَ
هذا الغور المهيب ملجإي
وأرفرف بك راقصًا

رافضًا شبقي
متشنّجًا حولي
إهدأْ
فأخطُفكَ منك
كما تخطف الحدأةُ الفأرَ
فأختلي بك في جزري الاستوائية
منفاي وإيّاك
وأرتمي بعباب جثّتك
أنقرُك
أنقُرك كما نقرتُ الفيلَ والكركندَ والجاموسَ والنمرَ والسبعَ وجوارحَ الطير قبلك
أنقرك من داخل داخلك
- وقد روي عن بعضهم أنّه رأى تنّينًا سقط فوجد طولَه نحو الفرسخين -
تمايلَ
وكادَ أن يختنق في وقفة النشوة
أو يَنْسرق
وأطلي على الذّكَر
ذَكَري
من دمك
وبه أَجْرح
كالحربة العمياء جنبَك
جنبَك الملتهبَ
عرقًا وتيهًا وشوقًا
إلى المزيد مني
فأنسلّ بعد أن أُمسك بالكبد منك
وأدقّ وأدقّ بالمنقار
كالمسمار فيه وبكفّيْك
وأرتاح

على قدميك
وحولي ذَنَبُك
أنتظر خمسمائة سنة
خمسمائة سنة أنتظر
قيامتَك
أنت العنقاء التنّين أنت
وأنا نرفرف نرقص نجتمع

وأراكِ في نظري
تَصْفين وترقّين
يا حبيبتي
وتَنْحلين كحبلِ دمعي
برؤياك
تُنبتين الرّيشَ الطريَّ كالوبر
وتَنْبضين لنبضي
وتَنْعرين بنعراتي
وترتجفين لشهقةِ آخرِ زفراتك
ويرقص التنّينُ فيكِ
فترفرفين حولي، والذَّكَر
ذَكَرُنا يذوب فيك
الذكر ذكرك
وحين يحين وقتُ
البيْض، بيضِنا،
يَظهر بنا ألم شديد
فيأتي الذكر منّا بماء البحر
ويَحْقن الأنثى منّا
يَحْقنني
مِنْ منقارها
فَتَخرج البيضةُ
ويَحْضن الذكرُ بيننا
أحضن أنا
وتمشي الأنثى بيننا
أمشي وأصيد
أصطاد
التنّينَ راقصًا
أنقضّ على عنق فالأخرى
جارحةً أرفرف
فأفقأ بمنقاري عينيه
وأراني ـ والشفاه تُغلَق والوميض يَسْكن ـ
أراني أهتاج فأضمحلّ مع انحلاله
أصطادني وأقتاتني
من برّا لجوّا لبرّا
أزورني
ونختمر في قفف السنين
ـ جزَم فينا فقال مائة وخمسًا وعشرين سنة ـ
والبيض بيضنا يفرّخ
أنثى فنُحرق الأنثى منّا
ذكر فنُحرق الذكر منّا
ويبقى اللقاء
عنقاء وعنقاء
والتنّين فينا ساكن.
وقد ذكروا فينا أقوالاً عجيبةً أعجب ممّا ورد على ألسنتنا
(عَمْ عِنّ
لّا فَكّرَ
بلساني يغرّز ويرتوي
من لسانك
يحنّ
يميل
ويسيل حول لساني)
لكنّها لم تكن مستندة إلى قائل يُعتمد فاعتمدنا على هذا القدْر.

بين البين تبيان
بين الحال وحالها بينونة
بَيْن ما بان
اختلف حتّى التباين فانفصم ثم انقسم
البين بائن في البينونة بين الجـ (نـ) س

جهاد توما
دكتوراه في الرياضيات من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT). أستاذ في الجامعة الأميركية في بيروت، مختصّ بالفيزياء الفلكية. مصوّر فوتوغرافيّ أقام عدّة معارض في الولايات المتحدة الأميركية وتركيا وبيروت (في إطار مهرجان أيلول).